التراجم

جرير وابو تمام وابن المقفع

وضع

الاستاذ

فخر الدين محمد

بالمدرسة الخديوية

١٩٣٠ — ١٩٣١

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين .

﴿ ترجمة جرير ﴾

هو أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى اليربوعى التميمى أفضل ثلاثة الشعراء الاسلاميين وأبلغ المداحين الهجائين وأجود ثلاثتهم المصاقع وأنسبهم

﴿ نسبه ومولده ﴾

ينزع جرير الى بنى يربوع بن حنظلة أحد أحياء تميم ولد باليمامة عام ٤٢ ﻫ من بيت ذاع صيته فى الشعر غير أنه كان ذابل الذكر شديد البؤس قليل الحظ من الشهرة والصيت . وكان أبوه راعى أعنزة خاملا لئيما بخيلا ينتحل الشعر أحياناً أما قبيلته فكانت قوية الشكيمة عزيزة السلطان شديدة البأس لها فى الجاهلية وقائع صادقات كان النصر عقيدها فيها وأخصها ما كان بينها وبين تغلب قوم الاخطل . أما أمه فهى أم قيس بنت معبد من بنى كليب

﴿ نشأته وظهوره ﴾

نشأ جرير بالبادية وفيها ظهرت شاعريته ونبغ فى الشعر ، ولمكان

أسرته الخاصة من الفقر المدقع لم تخل نشأته من البؤس والضيق فكان هذا الظرف من العوامل التي أبرزت ما في خبيئة هذا اليافع من الظهور في ميدان التفوق والنبوغ على حداثة سنه فقد قال الشعر صبياً وجال في ساحته بسلاطة لسانية وأساليب عدائية ظهر ذلك جلياً بينه وبين خصومه من قبيلته وغيرها ممن كان لدوداً لقبيلته فذاع صيته بين الاحياء العراقية وأينع ثمرة

﴿ اتجاهه البصرة ﴾

جرى الشعر على لسان جرير فشب أشعر قومه وكان بنو يربوع أحوج ما يكونون الى شاعر يرفع مجدهم ويذيع مآثرهم إذ كان أكفاؤهم من مجاشع (قبيلة) قد ظهر فيهم الفرزدق واستطار أمره وأكسبه الشعر حظوة ومتاعا عند الامراء والولاة فود جرير لو يسبقه إلى ما اختصه به ذوو السلطان واستفزه قومه للتنويه بشأنهم والاعظام من أمرهم فقد كان الشعر وقتئذ من أعظم الوسائل للاعلان عن كرم النجار (الاصل) وشريف الخصال لذلك اختلف جرير الى البصرة طلباً للميزة (المعيشة) ومدح العظماء إذ هي حاضرة العراق ومستقر ولاتها وملتقى الوافدين اليها فهبطها وأقام فيها كثيراً بعد ان كان ثاوياً بالبادية والفرزدق مقيم بالبصرة حاضرة العرب يوجه اليه من المثالب والهجاء ماهابه وقومه فأقعدوه البصرة للذود عن حوضهم والأخذ بناصرهم

﴿ اتصاله بالحجاج وعبد الملك ﴾

عقد جرير لواء مدحه في ميدان العظماء وتجلت قريحته الصافية في ساحة

والى العراقين الحجاج ابن يوسف الثقفي فقد أمطره بمدائحه التي كانت لها هزة في نواحي نفسه وروعة اكتنفت قلبه فأدناه منه وخلع عليه من جلابيب المنح والصلات ما أغراه بالاغراق في الثناء عليه فعظم شأنه وطبق الخافقين شعره حتى بلغت مدائحه في الحجاج عبد الملك ابن مروان فحسده عليه وكتب له في شأنه فأقدمه الحجاج اليه في رهط من وجوه العراق وعلى رأسهم محمد بن الحجاج واستأذن في الدخول على عبد الملك فكلهم دخل عليه فلما مثل جرير بين يديه قال من هذا . فقيل له مادح الحجاج . فقال جرير : ومادحك ياأمير المؤمنين فأذن لي أنشدك (ابقاك الله) . فأبى وقال له : انما أنت للحجاج فهات ماقلته فيه فاستنشده ثلاث قصائد من أسير شعره وكان الاخطل وقتئذ حاضراً ومقامه من عبد الملك بن مروان مقامة فاستنشده فيما قاله هو فيه فكان أمدح الناس فقال عبد الملك أجدت . أنت مادحنا وأنت شاعرنا قم واركب جريراً ولولا شفاعة من أهل العراق وقولهم لأمير المؤمنين إن الكافر لا يعلو المسلم لعلا الأخطل ظهر جرير . وما برحوا يتوسلون اليه في سماع جرير حتى قبل مدحه وأجازه عليه جوائز سنية ومن وقتئذ عد جرير من مداح خلفاء بني امية .

﴿ مهاجاته للشعراء والفرزدق ﴾

كان الهجاء مظهراً من أنبه مظاهر الشعر في عهد الدولة الاموية الذي كان من أحفل العصور بالشعراء لمكان حاجة الخلفاء وولاتهم اذ ذاك اليهم فاجتذبوهم اليهم بهمة لاتني واغدقوا عليهم واكرموا وفادتهم وقبلوا شفاعتهم وبثوا فيهم روح التسابق على أبوابهم وتنافسوا في مرضاتهم وقصر

الشعر عليهم بل اختصه ا بعض الشعراء بعطاياهم بغية الشقاق بينهم وأبعادهم بذلك عن مناوأتهم وشغل المتأدبين بالبحث فى أشعارهم عن الخوض فى سياسة الملك وكان جرير فى غمار الوافدين على أبواب الملوك والمتنافسين فى نيل جوائزهم فحداه ذلك الى منابذة منافسيه ومهاجاتهم وأزكي نارها بينه وبينهم الفرزدق فاغرى ثمانين شاعراً عليه بالمال فاجهز عليهم شاعراً بعد شاعر وأخرسهم ولم يقو منهم على الثبات أمامه إلا الفرزدق والأخطل فاستعرت حرب المهاجاة بينهم سجالا حتى قاسي نصب الأخطل الذي ساعد الفرزدق لمكان العداء بين قبيلته وبين بني يربوع وهناك بدأ الشاعران (الفرزدق وجرير) يتقاذفان واشتد النضال بينهما حتى التمس له الحط ،ضمنته اللغة من سفال القول وفحشه . الا أن هجاء جرير كان أولج فى آذان العامة لسماحة لفظه ورقة نسجه ولانه اذا هجا جاء بما يضحك الناس.

﴿ مظهر المهاجاه بين الشعراء ﴾

ظهر الهجاء بين الشعراء على هذا النحو فى عهدى الجاهلية والاسلام ضاربا بسهم فى الفخر والاغراق فى الاشادة بمناقب الشاعر ومفاخر قبيلته كما بدا فيه من التشهير بالخصم والنيل منه وفى قبيلته حديثا وقديما . وقد جاب هذا الشعر جنايا نكراء على الاخلاق والاعراض والدين الا انه كان مرآة صادقة تجلت فيها صفات هذه البيئات العربية فى هذا العهد كما كان ينبوعا تاريخيا لجمهرة العرب فى جاهليتهم واسلامهم بل فحسبك هذا الشعر استحذى الفناء أن يطرق ساحة اللغة العربية فكانت منيعة الجانب من الضياع .

﴿ شعره — موازنة بينه وبين الفرزدق والأخطل ﴾

استعرض علماء الأدب وأئمة النقد شعر جميع الطبقات عصر بنى اميه فأجمعوا على أن أرفعهم قدراً وأبعدهم ذكراً وأنبههم شعراً أولئك الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل ولكل شيعة وأنصار ومزايا

فأما جرير فكان شعره أرقهم لفظا وأسمحهم أسلوبا وأبدعهم نسيبا ورثاء وأجمعهم لفنون الشعر من دقة فى معانيه وعذوبة سائغة محببه الى النفس كان شاعرنا عفيفا عند النسيب لذاعا واذا هجا يصم خصومه بما ليس فيهم فيغدو باطله حقا بأبدع الحيل كل ذلك جعل شعره أقرب الى قلوب العامه وأجرى على ألسنتهم . أما شعر الفرزدق فكان خشن اللفظ غزير المعنى مجفو معانيه عن القلب وتثقل أساليبه على السمع وكان فاجراً فى الغزل فخوراً اذا هجا . وشعر الأخطل كان بليغ اللفظ حسن الصوغ جيد المدح ممتنا فى الهجاء ووصف الخمر لهذا اختلف قادة الشعر في أيهم المقدم الا ان المتعمد به منهم يرون جريراً أشعر الثلاثة . اذ لم يقصر فى باب من أبواب الشعر . على أن صاحبيه قصرا همتهما فيه على بعض ضروبه (فنونه) . فالفرزدق امتاز بالفخر والهجاء والمديح والأخطل بالمدح والهجاء ووصف الخمر . أما جرير فله فى كل ضروبه ما كان مضرب الامثال :

اذ قيل ان أغزل شعر قول جرير : —

إن العيون التى في طرفها حور ... قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

يخلبن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

وان أمدح بيت قوله :

السّم خير من ركب المطايا ... وأندي العالمين بطون راح

وان أفخر شعر قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهموا غضابا

وان اهجى بيت قوله مع عفة عن الاقناع :

فغض(١) الطرف إنك من نمير فلا كعب بلغت ولا كلابا

وإن أصدق بيت قوله :

إنى لأرجو منك خيراً عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وإن أبعد بيت تهكما قوله : —

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا(٢) أبشر بطول سلامة يامربع

وفى الحق إن جريراً نفذ سهم شعره فيما امتنع على غيره . فكيف بك اذا استوعبت عبقرية شاعرنا في أفانينه الشعرية وضروبه السحرية إذ تجد المعانى تنحدر اليه طوعا فبينما هو يلعب ويلهو فى قصيدة واحدة إذ تراه فيها يجد فقد هجا الأخطل الثعلبي بقصيدة لها فيها وجد فقال فى لعبه : —

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا(٣) بعينك لايزال معينا(٤)

غيضن(٥) من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى جده قال : —

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم(٦) ياخزر تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم الى قطينا(٧)

فلما قريء هذا الشعر على مسمع من عبد الملك قال مازاد ابن المراغه(٨)

---

(١) اخفض (٢) هو رواية جرير (٣) الماء القليل (٤) جاريا (٥) اذهبن
(٦) الخزر ضيق العيون (٧) خدماً (٨) الحمارة

أن جعلني شرطيا أما انه لو قال : لو شاء ساقكم الى قطينا : لسقتهم اليه كما قال .

اثارة من شعره

﴿ الهجاء ﴾

نزل الفرزدق المدينة المنورة وأندس في بيت يريد الفاحشة وحوصر فنزل قابضا على حبل من أعلى الدار وقال : —

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض بازأقتم الريش كاسره

فقال له مروان أتقول هذا بين زوجات الرسول . أخرج من المدينة فذلك قول جرير : —

تدليت تزنى من ثمانين قامة وقصرت عن باع الندى والمكارم

وقوله : إذا دخل المدينة فارجموه ولا تدنوه من جدث الرسول

فما يحمى عليه شراب حد ولا ورهاء[1] غائبة الخليل

فرد عليه الفرزدق يقول : —

لفت لنا من الورهاء نعتا فعدت به لأمك من سبيل

فلا تبغى إذا ماغاب عنها عطية[2] غير نعتك من حليل

﴿ الرثاء ﴾

من ذلك قصيدته التى رثا بها زوجه وندبت بها نوار امرأة الفرزدق أيضا : —

---

(١) حمقاء (٢) ابو جرير

لولا الحياء لها جنى استعبار (١) ... ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبي اذا علتني كبرة (٢) ... وذوو التمائم من بنيك صغار
لايلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار
صلى الملائكة الذين تخيروا ... والطيبون عليك والابرار
فلقد أراك كسيت أحسن منظر ... ومع الجمال سكينة ووقار

المدح

قال يمدح جماعة من قريش :

أهلا وسهلا بقوم زينوا حسبي ... وان مرضت فهم أهلي وعوادي
لو أن ليثاً أبا شبلين أو عدم ... لم يسلموني لليث الغابة العادي

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز :-

انا لنرجوا اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة او كانت له قدراً ... كما أتى ربه موسى على قدر

الاستعطاف

ثم قال فيها مسترحماً :-

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت ... أم بالذي بلغت من خبرى
مازلت بعدك في هم يؤرقني ... قد طال بعدك أسهادي ومنحدري
لاينفع الحاضر المجهود بادينا ... ولا يجود لنا باد على حضر
كم بالمواسم من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلا من الجن أو مسا من البشر
ممن يعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

---

(١) جرت دمرعه (٢) الكبر الضعف

الحماسة

قال .

انا انذعر يافقير عدونا ... بالخيل لاحقه الاباطل[1] قودا
وتحوط حوزتنا وتحمى سرحنا ... جرد[2] ترى لمغارها أخدودا
أجرى قلائدها وقدد لحمها ... الا يذقن من الشكائم عودا
وطوى القياد مع الطراد متونها ... طى النجار بحضرموت برودا

التشبيب

قال فيه

أتنسي اذ تودعنا سلمى ... بفرع بشامة سقر البشام
متي كان الخيام بذى طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام
تحرون الديار ولم تعوجوا ... كلامكم على اذا حرام
بنفس من تجنبه عزيز ... على ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لاأراه ... ويطرقنى اذا رقد النيام

﴿ تفوق جرير بشهادة خصومه وغيرهم ﴾

لقد شبه جرير بالاعشي اذ كان أكثر شعراء أهل زمانه فى فنون الشعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفاً وأرقهم نسيبا وأشدهم هجاء تأمل قوله في الهجاء

ان الفرزدق والبعيث وأمة ... وأبى البعيث لشر ماأستار

وقوله : من الاصلاب ينزل لؤم تيم ... وفى الاصلاب يخلق والمشيم

---

(١) الارجل (٢) ليس لها شعر

تره في الاول هجا أربعا في بيت واحد وفى الثانى تميما في ثلاث كلمات ماهجابهن شاعر قبله .

قيل مر راكب بالراعي الشاعر يغنى بقول جرير . ـ

وعاوعوى من غير شيء رميته بقارعة أنفاذها تقطر الدما
خروج بافواه الرواة كأنها قرا هند وأنى اذا هز صمما

فأرسل الراعى وراءه رسولا يسأله عن البيتان . قال لجرير فقال لمن حضر ويحكم أألام على أن يغلبنى مثل هذا .

حدث مولى لبنى هشام قال : ـ امتري أهل المجلس في جرير والفرزدق ايهما اشعر فاخبرت الفرزدق فقال : ـ اعن ابن الخطفى تسأل . قاتله الله فما أخشن ناصيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى المجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء جارحا وقد قال بيتا لان اكون قلته أحب إلى مما طلعت عليه شمس : ـ

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وسمع الفرزدق قول جرير وفيه تعريض بذمه : ـ

إذا ماحل اهلك ياسليمى بدارة صلصل شحطوا مزارا
أراد الظاعنون ليحزنونى فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال ـ ويل ابن المراغة ماكان احوجه علي عفافه إلي صلابة شعرى وأحوجنى مع شهواتى إلى رقة شعره

اجتمع الفرزدق وجرير عند بشر بن مروان فقال لهما لاأريد إلا أن تجدوا بين يدي فخرا ودعاني مما مضي .

فقال الفرزدق

نحن السنام والمناسم غيرنا فمن ذا يساوى بالسنام الناس

وقال جرير

على مرضع الاسناد أنتم زعمتو وكل سنام تابع للفلاصم

فقال الفرزدق

على محرض للغرث انم زعمتو ألا إن فوق الغاصمات(١) لجاجما

فقال جرير :

وانأ تمرنا انكم هام قومكم ولا هام الا تابع للخراطم(٢)

قال الفرزدق :

فنحن الزمام القائد المقتدى به من الناس مازلنا ولنا لهارما

قال جرير

فنحن بنى زيد قطعنا زمامها فتاهت كسارطائش الرأى عارم

فقال بشر غلبته يا جرير بقطعك الزمام وذهابك بالناقة وأجازهما وفضل جرير في الجائزة .

ابق(٣) غلامان لرجل اسمه الخضر من آل الفرزدق فخرج في طلبهما راكبا ناقته فامطرتة السماء في ماء لبنى حنيفة فعدل إلى بعض ديارهم وسأل القري فأجابوه ودخل داراً لهم وفي الدار جويره فسألت لمن العبساء(٤) فقال لضيفكم فقالت له ممن الرجل فقال من بنى حنظلة فقالت من أيهم فقال من بنى نهشل فتبسمت وقالت أنت إذن ممن عناهم الفرزدق بقوله .

---

(١) الحلقوم (٢) الانوف (٣) شرد (٤) الناقة

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول
بيتا بناه لنا المليك وما بنى ملك السماء فانه لا ينقل

فقال . نعم . فضحكت وقالت . فان ابن الخطفي قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول :—

اخزى الذي رفع السماء مجاشعا وبنى بناء بالحضيض الأسفل
بيتا يحمم قينكم بفنائه دنسا مقاعده خبيث المدخل

﴿ طائفة من أخبار جرير ﴾

دخل جرير على الحجاج فقال له . ياعدو الله علام تشتم الناس فقال جرير بعد ان ذكر كثيرا من خصمائه . جعلنى الله فداء الامير والله ما أظلمهم ولكنى انتصر فقال الحجاج . ما أدرى مالك ولهم فقال اخبر الامير أعزه الله عن سبب خصومتي لهم . أما غسان بن ذهيل فانه من قومي هجانى وهجا عشيرتى فقال الحجاج . ماذا قال : فذكر له قوله :—

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد اخزى كليبا جريرها
رميت نضالا عن كليب فقصرت مرامیك حتى عاد صفرا جفيرها (١)
ولا يذبحون الشاة الا ميسر (٢) طويل تناجيها صغار قدورها

قال الحجاج ماذا قلت له :

فذكر قوله :—

ألا ليت شعرى عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جارا يجيرها
فقد ضمنوا الاحساب صاحب سوءة يناجى بها نفسا خبيثا ضميرها

(١) جراب السيف (٢) الميسر القمار

فما فى سليط فارس ذو حفيظة ومعقلها يوم الهياج جمورها (١)

قال له الحجاج ثم من . قال البعيث هجانى وقومى حيث يقول : —

كليب لئام الناس قد يعلمونه وأنت اذا اغدت كليب لئيمها
أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيى كليبا قديمها

فقلت له : —

ألم ترى أنى قد رميت ابن فرثنا بصماء لا يرجو الحياة أميمها
له ام سوء بئس ماقدمت له اذا فرط (٢) الاحساب عد قديمها

فقال الحجاج له ثم من . قال الاخطل رشاه محمد بن عمير زقا من خمر وكساه حلة على أن يفضل الفرزدق ويهجونى بقوله : —

اخسأ اليك كليب ان مجاشعا (٣) وأبا الفوارس نهشلا (٤) أخوان
واذا قذفت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك فى الميزان

فقلت له . —

ياذا الغباوة ان بشر قد قضى ألا تجوز حكومة النسوان
قدموا الحكومة اسلم ومن أهلها ان الحكومة في بنى شيبان

فقال الحجاج ثم من . قال العباس بن يزيد فانه لما قلت مفتخراً بقومى : —

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال : لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكلت (٥) بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم ومافيها من السوءات شابا

فأخبرت بمثالبه وجواره عتّابا من طى اذ حبلت أخته هضيمة منه فقلت :

---

(١) صوت مرتفع (٢) تقدم (٣) قبيلة (٤) قبيلة أيضاً (٥) لم تؤذى

اذا جهل الشقى ولم يقدر ... لبعض الامر أوشك أن يصابا
أعبداً حل فى شعب غريبا ... ألؤما لا أبالك واغترابا
فما تخفى مضيبة حيث تمسي ... ولا اطعام سخلتها (١) الكلابا
فقد حملت تميمة وأوفت ... بتاسعها وتحسبها كعابا (٢)

ومن أجوبة جرير التى لها أثرها مع البعد عند الاقذاع ـ قال حجناء بن جرير قلت لابى . يا أبى ماهجوت قوما قط الا أنسدتهم سوى التيم (٣) فقال انى لم أجد حسبا أضعه ولا بناء أهدمه

وفد جرير على يزيد بن معاوية فقال الامير حين طلب الاذن له : إنه لا يصل الينا الا من نسمع شيئا من شعره فقال جرير : بلغوا الامير أنى أنا القائل : ـ

وإنى اليف الفقر مشترك الغنى ... سريع إذا لم أرض دارا تنقليا
جريء الجنان لا أهاب من الردى ... إذا ماجعلت السيف قبض بنانيا
وليس لسبني في العظام بقيـة ... وللسيف اشوى (٤) رقمة من لسانيا

فأجازه جائزة وكانت أول جائزة أخذها من خليفة .

كان لجرير أخوان عمرو وابو الورد أما ثانيهما فكان يحسد جريرا فذهبت له إبل فشمت به أبو الورد فقال له جرير : ـ

أبا الورد أبقى الله منها بقية ... كفت كل لوام خذول وحاسد

وأما عمرو فكان أكبر من جرير ويعارضه في الشعر فقال له جرير : ـ

اعمرو قد كرهت عتاب عمرو ... وقد كثر المعاتب والذنوب
وقد صدعت صخرة من رماكم ... وقد يرمى بى الحجر الصليب

(١) المولودة سفاحا (٢) بنت بكر (٣) قبيله (٤) أكثر وقعا

وقد قطع الحديد فلا تماروا (١) فزند (٢) لا يفل ولا يذوب

كان لجرير سياسة دهماء فتراه يخرج من كل مازق حرج اذ . مر ببطن مازن وهلال من ضبة (٣) فخليهما لسوء أثره فى ضبة فقال لهم :

فلا خوف عليك ولن تراعى بعقوة (٤) مازن وبنى هلال

هما الحيان ان فزعا يطيرا الى بجرد كأمثال الشمال

أمازن يابن كعب ان قلبى أكم طول الحياة لغير قال

غطاريف (٥) يبيت الجار فيهم قرير العين فى أهل ومال

فقالوا له ـ أجل يا أبا حزرة لا خوف عليك .

جىء بجرير الى الحجاج وقد دخل البلدة بدون إذن فقال له : ما أقدمك علينا بدون إذننا (لا أم لك (٦)) قال : قلت شعرا فى الامير لم يقل مثله أحد فأحببت أن يسمعه منى فطاب الحجاج الجارية التى بعث بها اليه عامل اليمامة وقال لجرير إن أصبت صفتها فهى لك فقال ما اسمها فقال له . أمامة فقال من فوره : ـ

ودع أمامة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

مثل الكثيب تهيلت أعطافه فالريح تجبر متنه وتهيل

تلك القلوب صواديا (٧) يتمتها وأرى الشقاء وما اليه سبيل

قال أبو صباح التميمى . أتى نعى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال : ـ

مات الفرزدق بعد ما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر . بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك أتهجو ميتا أما

---

(١) تتشككوا (٢) سيف (٣) قبيلة (٤) السهم (٥) شجعان (٦) دعاء عليه (٧) عطاش

والله لو رثيته لكنت أكرم العرب فقال جرير . إن رأى الامير أن يكتمها على فاها سوءة ثم قال من وقته

فلا وضعت بعد الفرزدق حاملا ولا ذات بعل عن لئام تعلت
هو الواهب المئون والرائق الثأى إذا النعل يوما بالمشيرة زلت

ثم بكى وقال أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا ممنا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه فكان كما قال إذ مات بعده بسنة

مآخذ جرير

أولا : لم يكن جرير فى شعره على سنن واحد بل كان أحيانا يبلو منازل الخواطر وطوراً يهبط لى الحضيض كقوله واتغلبه مهرها فلسان .

ثانيا : كانت قوافى بعض شعره تختلف حركاتها وذلك مايسمى بالاقواء[1] كقوله :

عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين
عرفنا جعفراً وبنى أبيه وأنكرنا زعانف آخرين

ثالثا . كان يتهجم في خطاب الملوك أحيانا فقد خاطب بشر بن مروان بقوله . ـ

قد كان حقك أن تقول لبارق يآل بارق فيم سب جرير

فجعل بشراً وسيطا بينا وبين الناس فقال بشر . أما وحد ابن المراغة رسولا سواى .

كما تهجم فى قوله . ـ هذا ابن عمي الى آخر البيت وقد سبق قول

(١) تغيير حركة القافية

عبد الملك في ذلك .

رابعا . وجود تناقض في بعض شعره قال :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فانت ترى كيف جعلها صائدة القلوب وهو يناقض طردها حين طرقته

ترجمة ابو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي صليبة (١) شاعر مطبوع لطيف القطنة دقيق المعاني غواص على مايستصعب منها ويعسر متناوله على غيره لم يكن من أهل زمانه مثله في حدة الخاطر ولطافة الحس . لذا كان في طليعة ثلاثة الشعراء الذين خلد شعرهم الزمان ثانيهم البحتري وثالثهم المتنبي غير أن شاعرنا كانت به حبسة لسانية

مولده ـ نسبه ـ نشأته

ولد أبو تمام بقرية جاسم من أعمال دمشق عام ١٩٠ هـ والذي عليه أكثر النسابين في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيا يقال له تدرس فغير الى أوس والذي عليه صاحب الاغاني أنه عربي صميم . ولما كان أبويه من الفقر الجائر لم تصف لهما معيشة في جاسم فتحولا الى حيث يطيب لهما المقام فالتحقا بمصر ونقل أبو تمام اليها ونشأ بها فقيرا فاحترف بسقي الماء بالجرار

(١) من أصل واحد

في جامع عمرو الذى طمى فيه بحر العلم وأصبح كعبة قاصدة العلم ومباءة (١) البلغاء والادباء فكان ذلك من أعظم العوامل فى ثقافة أبى تمام إذ أكب على تعليم العربية وحفظ الكثير من شعر العرب وأجاد فيه وقد وضع من كتب الادب مادل على حسن اختياره وغزارة فضله فله كتب الحماسة وفحول الشعراء والاختيارات من شعر الشعراء جمع فيها طائفة من شعر الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين .

اتصاله بالخلفاء والولاة ومن اليهم

انتجع أبو تمام بغداد مقر خلافة بنى العباس فنثر من دراري مدائحه الفياضة فى المعتصم فنال به عنده حظوة ومقاما رفيعا وجوائز سنية كما كانت له جولة صادقة فى مدح وزيره الجبار الشاعر الكاتب محمد بن عبد الملك الزيات وقد كان من فرائد مديحه لصاحب ديوان رسائله الحسن بن وهب الذى ولاه بريد الموصل (الى أن مات أبو تمام عام ٢٣١ هجرية) مايقصر العد عند حصره بل لم يكن مدحه ناصرا على هؤلاء فقد واصل رحلاته الى الولاة فى أنحاء الدولة وخلد ذكرهم بمدحه الخالد حتى سارت به الركبان فتوثقت بين شاعرنا وبين الخلفاء ومن اليهم أواصر الصداقة فأهابوا به أن يترك حرفة التكسب . ففي لجة البحر مايغنى عن الوشل .

شعره — تجديده فيه

انتحى أبو تمام فى نسج شعره ناحية اختارها لنفسه لم يحم حولها

(١) محل

سابق وعجز عنها كل لاحق فقد حاك شعره مؤثرا فيه تجويد المعنى على سلامة الاسلوب فالبسه من الصناعات اللفظية كالجناس والطباق والتورية والمجاز والاستعارة والكناية مادعا إلى اجهاد الفكر وعناء الاذهان للوصول الى اقتناص شوارد المعانى فكان بعض شعره غاية في الجودة والجلاء سالما من المثالب والبعض الآخر كدرا غامضا معقدا للنظر بما عماه به من الصناعة الفنية وبما تخال جله مما يعد أجنبيا عن أجزائها فاستبهمت (١) معانيها وخفى مدلولها ومن ثم لم يتورع بعض نقدته عند الحكم على شعره فحمل عليه محبو الظهور والاثرة حملة منكرة وطعنوه بالسنة هو براء منها فى طائفة منه وتبوأت طائفة منهم فى ذلك مواطن النصفه اذ قد سلمت له جلة من شعره كانت مضرب الامثال فاحسنت فيها القول وأساءت الحكم فى غيرها ومن هؤلاء صاحب الاغاني .

ماستند اليه المتشيعون لابي تمام من أقوال أئمة الشعر .

قلما يوجد شاعر الا وله السن تشايعه وطائفة تناصره وتسوق من أقوال أولي النظر فى الشعر مايدفع ازراء خصمه بشعره فقد تشيعت شرذمة لابي تمام مستأنسة في حكمها عليه أنه المقدم على شعراء أهل زمانه بأقوال من لا يشق لهم غبار فى ميدان النقد الشعرى ولنذكر بعضا منهم .

قال محمد بن عبدالملك الزيات . أشعر الشعراء الذي يقول :

وما أبالى وخير القول أصدقه ... حقنت (٢) لى ماء وجهي أوحقنت دمي

فسأل بعضهم ابرهيم بن العباس من أشعر أهل زمانه فقال الذى يقول —

مضر أبوك أبو (٣) الاهلة وائل ... ملأ البسيطة عدة وعديدا

---

(١) جفيت (٢) لم ترق دمه (٣) جمع هلال

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا .
ورثوا الابوة والحظوظ فاصبحوا جمعوا جدودا في العلا وجدودا .

فترى أن محمدا بن عبد الملك الزيات وابن العباس اتفقا على أن أبو تمام أشعر أهل زمانه .

قيل لعمارة بن عقيل وقد قدم البصرة : هاهنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طرا فقال . أنشدوني قوله . فأنشدوه :—

وطول مقام المرأ في الحي مخلق (١) لديباجتيه (٢) فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد (٣)

فقال عمارة : كذب والله ان كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد وانسياق الكلام فأن صاحبكم هذا اشعر الناس .

وصف علي بن الجهم أبا تمام فضله على غيره فقال له لرجل لو كان أخاك مازدت على مدحك هذا . فقال : ان لم يكن أخا بالنسب فأنه أخ بالادب والمودة أما سمعت ماخاطبني به اذ يقول :—

إن يكن مطرف (٤) الاخاء فانا تغدت ونسري في أخاء تالد (٥)
أو يخالف ماء الوصول فماؤنا عذب يحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

كان دعبل الشاعر المشهور على موجدة لابي تمام فانشده محمد بن جابر الازدي شعرا لابي تمام ولم يخبره بأنه له وكان يتعصب له ثم قال له : كيف رأيته ؟ قال دعبل : أحسن من عافية بعد يأس : فاخبره بأنه لابي تمام . فقال له سرقه أنشد أبو تمام شعرا في المعتصم على مسمع من ابراهيم بن العباس فقال

(١) ممزق (٢) خداه (٣) أبدي (٤) حديث (٥) قديم

ياأبا تمام . أمراء الكلام رعية لأحسانك .

قال عبدالله بن طاهر : كان عمارة بن عقيل عندنا فسلم مؤدبا لاولادأخي يروهم قصيدة أبي تمام (الحق أبلج والسيوف عوار) حتي بلغ قوله :-

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيد السموم (٢) مدارعا من قار
لايبرحون ومن رآهم خالهم أبدا على سفراً من الاسفار

فقال عمارة . لله دره مايعتمد معني الا أصاب أحسنه كانه موقوف عليه

قال ابراهيم بن العباس . ماعولت في مكاتبتي إلا على ماجاش به خاطري ولكني استحسنت قول أبي تمام :

فان بأشر الاصحار (٣) فالبيض القنا قيراه وأحواض المنايا مناهله
والا فاعلمه بانك ساخط عليه فان الخوف لاشك قاتله

فقال ابراهيم . ان أبا تمام احترم وما استمتع بخاطره ولا نزح (٤) ركي فكرة حتي انقطع رشاء عمره .

حدث بن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال . قال : ماكان أحد من الشعراء ليأخذ درهما بالشعر في حياة أبي تمام فلما قضى نحبه تقدم الشعراء ماكان يأخذه

قال هارون بن عبد الملك المهلبي : جمعنا حفل فيه دعبل فجري ذكر أبي تمام . فقال . كان يتبع معاني فيأخذها فقال له رجل : وأي شيء من ذلك أعزك الله : فقال قولي :

وان امرأ أسدي الى بشافع اليه ويرجو الشكر مني لأحمق

---

(١) معن لغيرا (٢) ريح (٣) جمع صحراء (٤) الحيل

شفيعك فاشكر فى الحرائج انه يصونك عن مكروهها وهو يخلق (١)

فقال له الرجل : فكيف قال أبو تمام . فقال . قال : —

فلقيت بين يديه حلو عطائه ولقيت بين يدى مر سؤاله

واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال له الرجل : أحسن والله . فقال دعبل . كذبت قبحك الله . فقال الرجل . لئن كان أخذه منك فقد أجاد فصار أولى به منك وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه فغضب دعبل وانصرف .

***

طائفة من أخبار أبى تمام وما أعطى من المنح

قدم أبو تمام خراسان فسأله الشعراء أن ينشدهم فقال . سأنشدكم على مسمع من الامير غدا . فلما دخل عليه قال

هن عوادى يوسف وصواحبه فعزما فقد ما أدرك السؤل طالبه

وقلقل نأى من خراسان جأشها فقلت اطمئنى انخ الروض عازبه

فصاح الشعراء بالامير أبى العباس : ما يستحق هذا الشعر الا الامير أعزه الله . فنثر عليه الف دينار فلم يمس شيئا منها والتقطها الغلمان . فوجد عليه عبد الله اذ اعتقد انه يترفع عن بره وكرامته .

حدث سعيد بن جابر الكرخى عن أبيه أن أبا تمام أنشد ابادلف قصيدته : —

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على ماوطدت من مناقب

فانتم بذى قار أصبتم سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

---

(١) يبلى

محاسن من مجـــدمتي تقر توابها محاسن أقوام تكن كالمعايب

قال أبو دلف : يامعشر ربيعة ماسمحتم بمثل هذا الشعر ماعندكم لفاتله . فرموا بمطارفهم الى أبي تمام . فقال لهم أبو دلف . قد قبلها وأعاركم لبسها وأمر له بخمسين الف درهم وقال. والله ماهي بازاء استحقاقك وقدرك فشكر وأراد تقبيل يده فحلف الا يفعل .

بلغ الواثق أن ابن أبي داود منح أبا تمام الف دينار بقصيدة مدحه بها فقال . لم أفعل يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته خمسمائة للذي قال للمعتصم

فاشدد بها دين الخلافة إنه سكن اوحشتها ودار قرار
ولقد علمت بأن ذلك معصم ماكنت تتركه بغير سوار

فتبسم الواثق وقال . انه لحقيق بذلك

حدث محمد بن يزيد النحوي أن أبا تمام خرج الى خالد بن يزيد بن مزيد بأرمينية وامتدحه فاعطاه عشرة آلاف درهم وودعه وشخص وبعد زمن ركب خالد يتصيد فرأي أبا تمام تحت شجرة يشرب شرابا وبين يديه غلام يغنيه بالطنبورة فقال أبو تمام . فقال . خادمك وعبدك .قال فما فعل المال فقال

علمني جـــودك السماح فما أبقيت شيئا لدى من صلتك
ماسر شهرا حتى سمحت به كأن لي قدرة كقدرتك

فمنحه عشرة الاف درهم

قدم أبو تمام على الحسن بن رجاء مادحا له فقال كاتب الحسن : رأيت في أبي تمام رجلا عقله وعلمه فوق شعره فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها فلما بلغ .

أنا من عرفت فأن عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة القوال
عادت له أيامه مسودة حتى توهم أنهن ليال

قال الحسن : لانسود عليك بعد اليوم . فلما قال :

لاتنكري عمل الكريم من الغني فلليل حرب المكان العالي
وتنظري خبب الركاب ينصها محي القريض الى مميت المال

قام الحسن وقال : لاأتممتها الا وأنا قائم . فقام ابو تمام لقيامه وقال :

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى عنا تملك دولة الأمحال
بسط الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال
أغلى عذارى الشعراء مهورها عند الكرام ان رخصن غوال
ورأيتني فسألت نفسك سيبها لي ثم جدت وما انتظرت سؤال
كالغيث ليس له أريد غمامه أو لم يرد بد من التهطال

فتعانقا وجلسا وقال له الحسن: ما أحسن ماجلوت هذه العروس فقال. لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها . فمنحه بعد مكثه شهرين عشرة آلاف درهم على بخل كان فى الحسن بن رجاء .

تقدم أن عبد الله بن طاهر وجد علي أبو تمام اذ ترفع عن جائزته ولكن كان يبعث اليه بالشيء بعد الشيء فقال أبو تمام .

لم يبق للضعيف لارسم ولاطلل ولانشيب فيستكس ولا شمل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت يسراه وهي لنا من بعدها بدل

فبلغ ذلك العميل شاكر آل عبد الله بن طاهر فأتى أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر ثم دخل عليه وقال . أيها الامير اتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه فوالله لو لم يكن له من شيء الا ماله من النباهة فى قدره والاحسان

فى شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شعره والتوقي لذمه ما يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ولو لم يسمع فيك من مدحه الا قوله .

أمطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

لكان ذلك شافعا له فقال عبد الله نبهت فأحسنت وشفقت فلطفت وعاتبت فأوجعت ودره ولأبى تمام العتبي ادعه ياغلام فنادمه يومه وأمر له بألفى دينار وخلع عليه من ثيابه خلعة سنية

مر أبو تمام بشخص يقول لاخر . جئتك أمر فحتجبت عنى فقال له .

السماء اذا احتجبت رجي خيرها فأخذ أبو تمام هذا المعنى وضمنه شعره حيث يقول .

ليس الحجاب بمقضي عنك لى أملا ان السماء ترجى حين تحتجب

قال عون بن محمد . — شهدت دعبلا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبى تمام فاعترضه عصابة الجرجراى وقال له . — يا أبا على اسمع مني ماقاله فأن رضيته فذاك والا وافقتك علي ماتذمه منه وأعوذ بالله فيك من الا ترضاه وأنشده —

هو السيل ان واجهته انقدت طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع
ولم أر نفعا عند من ليس ضائرا ولم أر ضرا عند من ليس ينفع
معاد الورى بعد الممات وسيبه معاد لنا قبل الممات ويرجع

فقال دعبل . — لم ندفع فضل هذا الرجل ولكنكم ترفعونه فوق قدره وتنسبون اليه ماقد سرقه فقال له عصابة — احسانه صيرك له عائبا وعليه عاتبا .

حدث وهب بن سعيد قال — جاء دعبل الى الحسن بن وهب فى حاجة

بعد موت ابي تمام فقال له رجل في المجلس — يا أبا علي أنت الذي تطعن على من يقول . —

شهدت افوت مما نيكم بعدي ومحت كما محت وشائح من برد
وانجدتم من بعد اتهام داركم فيادمع انجدني علي ساكني نجد

فصاح دعبل احسن والله وجعل يردد . فيادمع انجدني على ساكني نجد . ثم قال رحمه الله : — لو ترك شيئا من شعرة لقلت أنه أشعر الناس .

﴿ مانسب لأبي تمام من السرقات الشعرية ﴾

اقتفي الحاملون علي أبي تمام أثر شعره فالصقوا به تهمة السرقة الشعرية وعمموا فيها فلم يقصروها على مجرد المعنى بل نسبوا اليه السرقة اللفظية أيضا وشوهوا هذه النسبة بانه أفسد معني ما امتدت اليه يده من شعر غيره أو استعاض به معنى آخر أو اضاف اليه غيره وأخفي ذلك بالصناعات الفنية والمجازات اللغوية وفي الحق أن مانسب اليه من ذلك ليس على اطلاقه فان ذوى النصفة من نقدة الشعر وقادته كما تقدم لم يعيروا هذه الحملة جانبا من القبول فقالوا : — ماكان من شعر أبي تمام مما أخذه نزرا مما نسب اليه من فساد في الدلالة أو الأسلوب فقد تفوق فيه عن أصله وماكان منه على غير ذلك ذهبوا فيه مع الحاملين عليه .

﴿ طائفة من شعره يتبين فيها ماأخذه من شعر غيره ﴾

قال الكميت بن ثعلبة : —

ولا تكثروا فيها المجاج فانه فما السيف ماقال ابن دارة أجمعا

أخذه أبو تمام فقال : — ا

السيف أصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ومغزاه أن أهل التنجيم من الروم حكموا بان المعتصم لا يتمكن من فتح عمودية إلا وقت إدراك التين وبين ذلك وبين عزمه شهور . فأبى المعتصم إلا أن يفتحها فكان ذلك فقال أبو تمام : السيف أصدق الخ .

وقال الاعشي : —

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً ... فقد الشباب وقد تصلن الامردا

أخذ الطائي المعنى والصنعة . —

أحلى الرجال من النساء موانعا ... من كان أشبههم بهن خدودا

قال الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

أخذه الطائي فقال —

والشيب إن طرد الشباب بياضه ... كالصبح أحدث في الظلام أفولا

وقال قيس بن ذريح . —

بليغ إذا يشكو إلى غيره الهوى ... وإن هو لاقاها فغير بليغ

أخذه أبو تمام فقال . —

لم تنكرين مع الفراق تبلدي ... وبراعة المشاق أن يتبلدا

وقال منصور النميري يمدح الرشيد —

وعين محيط بالبرية طرفها ... سواء عليه قربها وبعيدها .

أخذه الطائي فقال .

أطل على كلا الآفاق حتى ... كأن الأرض في عينيه دار

مدح ابن الخياط المهدي فأجازه جائزة سنية ففرقها في الدار فبلغه فضاعف له الجائزة فقال . —

لست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم أدر أن الجود في كفه يعدى

أخذه أبو تمام فقال . —

علمني جودك السماح فما ابقيت شيئا لدى من صغتك

قال أبو تمام . —

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء حر من بينها البدر

أخذ المعنى و اللفظ من قول مريم بنت طارق ترثي أخاها . —

كنا كأنجم الليل بينها قمر يجلوا الدجى فهو من بينها القمر

أو من قول جرير يرثي الوليد . —

أمسي بنوه وقد جلت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمر

قال مسلم بن الوليد : —

يصيب منك مع الآمال طالبها حلما وعلما ومعروفا وإسلاما

أخذه أبو تمام وبرز عليه فقال : —

نرمي بأشباحنا الى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه .

أنشد بعض شعراء بني أسد : —

تغيبت كي لا يحفروني ديارهم ولو لم تغب شمس النهار لملت

أخذه الطائي فقال : —

فأني رأيت الشمس زيدت محبة الي الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال أبو مسلم : —

لا يستطيع يزيد من طبيعته عند المروءة والمعروف احجاما

أخذ أبو تمام المعنى وكشفه وأحسن اللفظ واجاده فقال : —

تعود بسط الكف حتى لوانه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

قال ابو العتاهية : ـ

كم نعمة لاتستقل بشكرها لله فى طى المكاره كامنة

اخذه الطائي وأحسن اذ ذكر عكس الاول فقال . ـ

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

قل الارقط بن دعبل : ـ

نهنه دموعك من سح وتسجام البين اكثر من شوقي وأسقامي

وماأظن دموع العين راضية حتى تسح دما هطلا بتسجام

أخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما فقال . ـ

ماليوم أول توديعي ولا الثاني البين اكثر من شوقي واحزاني

وما اظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغني أقصى خراسان

قال النظار بن هاشم الازدي ـ

يعف المرء ما استحيا ويبقي بقيات العود مابقي اللحاء

وما في أن يعيش المرء خير اذا ما المرء زايله الحياء

أخذ أبو تمام معنى البيتين واكثر لفظهما . ـ

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود مابقى اللحاء

فلا والله مافى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

﴿ طائفة من شعره أنكر عليه ﴾

أنكر أبو العباس قول أبو تمام : ـ

رقيق الحواشي الحلم لو أن حلمه بكفيك ماماريت فى أنه برد

إذ لم يعهد من شعراء الجاهلية والاسلام من وصف الحلم بالرقة

وانما يوصف بالعظم والرجحان والرزانة كما قال النابغة : —

وأعظم احلاما أكبر سيدا وأفضل مشفوعا اليه وشافعا .

وكما قال الأخطل : —

شمس العداوة حتى يستفادلهم وأعظم الناس احلاما إذاقدروا

ومما أخطأ فيه الطائى قوله : —

مهاالوحش الا أنهانا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

إذ نفى ماهو أكمل صفات النساء عنهن من التثني واللين والانعطاف بقوله (الا أن تلك ذوابل)

وقد وصفهن بذلك تميم بن أبى مقبل بقوله : —

يهززن للمشى أوحالا منعمة هزالجنوب ضحى عيدان يبرينا

أوكاهتزاز ردينى تداوله أيدى التجار فرادوأمتنه لينا .

ومما عيب عليه فى المعني قوله . —

الود للقربى ولكن عرقه لك بعدالأوطان دون الأقربا

فقد نقص الممدوح مرتبة من الفضل فجعل وده لذوى قرابته ومنعهم عرقه وجعله فى الأبعدين اذ أن أقرباه اذا كانوا فى حاجة فامدهم عن ذلك معروفا ولا عذر له في ذلك

قال المقنع الكندى في معنى مواساة الاقربين . —

فان الذي بيني وبين بني أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا

اذا اجمعوا حرمى وعاد قطيعتى جمعت لهم منى مع الصلة الودا

وقال حاتم الطائى . —

لاتعذلينى على مال وصلت به رحما قريبا فخر المال ما وصلا

ومن المواضع التى اخطأ فيها قوله . ـ

يوم كطول الدهر في عرض مثله ووجدي من هذا وهذاك أطول

فقد جعل للدهر عرضا وذلك محال على أنه لاحاجة للمعنى به فقد كمل بقول (كطول الدهر)

ومما كان مسفا فيه قوله . ـ

سأحمد نصرا ماحييت وانني لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد

فأنه رفع الممدوح عن الحمد الذى حث الله عباده عليه بأن يذكروه به .

ومما خالف فيه ماعليه العرب وغيرهم قوله . ـ

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم بعيد

اجدر بحمده لوعة طفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

فأن العادة فى الدمع أن يطفىء القليل ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة كما قال امرؤ القيس . ـ

وان شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من مقول

وقال ذو الرمة ـ

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجى البلابل

ومما عيب فيه قوله . ـ

لو يعلم العارفون كم لك فى الندى من فرجة وقريحة لم تحمد

فان هذا لوصف الذى وصفه راعية أن يتناهى الحامد له فى الحمد ويجتهد فى الثناء ويتحمل المشقة فيه أن يسلبه الحمد .

ومما كان الاسفاف فيه ظاهرا قوله . ـ

والحرب تركب رأسها فى مشهد عدل السفيه به بألف حليم

في ساعة لو أن لقمانا بها وهو الحكيم لكان غير حكيم
جثمت طيور الموت في أوكارها فتركن طيرا العقل غير جثوم

البيت الثالث رديء في القسمة رديء في المعني اذ جعل فيه طير الموت ساكنة في أوكارها وطير العقل غير جاثمة من شدة الروح وكان الأجدر أن يجعل طير الموت جاثمة على رؤسهم واقفة عليهم فأما أن تكون وقتئذ ساكنة في أوكارها فهي في السلم كذلك . وقد جعل طير العقل ضد طير الموت وليس كذلك بل هو ضد لطير الجهل وطير الحياة هو الضد لطير الموت ولو قال .

سقطت طيور الموت فوق رؤسهم فتركن أطيار العقول جثوم

لكان أشبه وأليق بالمعني ،

﴿ طائفه من شعر أبي تمام في ضروبه المختلفة ﴾

(الرثاء)

مات لعبد الله بن طاهر ولدان صغيران في يوم واحد فدخل عليه أبو تمام وأنشده : —

مازالت الايام تخبر سائلا أن سوف تفجع مسهلا أو غافلا
مجد تأوب(١) طارقا(٢) حتى إذا قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله الا يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
إن الفجيعة بالرياض نواضرا لأجل منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا(٣) للمكرمات وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك المخايل(٤) منهما لو امهلت حتى تكون شمائلا

(١) سار ليلا (٢) طلع ليلا (٣) ظهرا (٤) بوادر الخير

لقد اسكنوهما حجى وصباهما حلما وتلك الاريحيـــة نائلا
إن الهـــلال إذا رأيت نموه ايقنت أن سيكون بدرا كاملا

(المدح)

مدح أبو تمام الحسن بن رجاء بن الضحاك فقال : —

ستصبح العيش بى والليل عند فتى كثير لذكر الرضا فى ساعة الغضب
صدفت(١) عنه ولم تصدف مروءته عنى وعاودنى ظنى فـــلم يخب
كالغيث إن جئتـه وافاك ريقه (٢) وان ترحلت عنه لج فى الطلب

﴿ الهجاء ﴾

قال أبو تمام يهجو دعبلا : —

ادعبل ان تطاولت الليـالي عليك فان شعري سم سـاعة
وما وقد المشيب عليك الا باخـلاق الدنائة والوضاعـة
ووجهك إن رضيت به نديما فانت بشبح وجدك فى الرقاعة
ولو بدلته وجها بوجـــه لمـــا صليت يوما فى جماعة
منـاسب طئ قسمت فدعها فليست مثل نسبتك المشاعة
وروح منـكبيك فقدا عبدا حطاما من زحامك فى خزاعة

﴿ الوصف ﴾

قال أبو تمام : —

فتى جـوده طبع وليس بحـافل انى الجود كان الجود منه أو القصد
اذا طرقتـــه الحادثات بنـكبة مخضن سـقاء منـه ليس بذي زيد

(١) اعرضت (٢) أوله

وقال : —

فأجرى لها الاشفاق دمعا موردا ... من الدم يجري فوق خد مورد
هي البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تورد

﴿ النسيب ﴾

قال أبو تمام : —

احدى بنى عمرو بن عبد مناه ... بين الكسيب الفرد فالأمواه
القي النصيف فانت خاذلة له ... أمنية الخالي ولهو اللاهى
لم تجتمع أمثالها فى موطن ... له صفات فى الكتاب الناهى
دعنى أتم أود الشباب بوصلها ... إن الشفاء بالغير شفاه
فاذا انقضت أيام تشييع الصبا ... اظهرت توبة خاشع أواه

﴿ شعر أبى تمام — تجديده فيه ﴾

قادة الشعر ونقدته عند تحليلهم شاعرية أبى تمام رفعوا عقيرتهم بأنه الذى سيطر على معانى المتقدمين والمتأخرين فانتهت اليه قيادة الطبقة الثالثة من الشعراء المحدثين اذ نشأ فى وسط أحاطت به ترجمة العلوم الكوفية من طب ونجوم وفلسفة ان طبيعة وجغرافيا وتاريخ عام وخاص إلى علوم آلية وشرعية فخاض بحورها واستخرج لآلئها وكساها من جلابيب أسلوبه القيان وأفانين شعره الرائع ما كان غرة فى جبهة الشعر مما امتنع على غيره من فحول الشعراء مما كانه وقصرت همهم عن اللحاق به وأخلق بمن تربع فى شعره من هذه المزايا أن يكون معينا يستقى الحكماء منه كلهم ولا غرو فقد عين طريقها للمتنبي وأبى العلاء وغيرهما كما كان موردا عذبا للامثال الخالدة فحق إذن القول بأن أبا تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحترى

ترجمة ابن المقفع

نسبه — نشأته — صناعته

هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد نجوم الأدب والبلاغة ونبراس من فحول الكتاب والفصاحة ثانى اثنين ممن ضرب بهما المثل فى الرسائل والادب أولهما عبد الحميد .

نشأ ابن المقفع نشأة فارسية يدين بدين المجوسية ولكنه سرعان ماأصطبغ بالصبغة العربية إذ كان أبوه داذويه من أبناء الفرس الذين كانوا فى ولاء فصحاء العرب ن ولاية الاهواز التى غصت بجمهرة الاعراب من الفاتحين والمهاجرة لما فيها من رغد العيش بخصب أرضها مما دعا تلك العناصر العربية الى الغلبة على أهلها الى الآن .

نشأ ابن المقفع مولى لآل الأهتم ذوى الفصاحة واللسن والخطابة جاهلية وأسلاما وأجدر بمن نشأ هو وأبنه فى تلك البيئة أن يكون من البلاغة بمكان لايدافع وكان مجوسيا يحمى الخراج فى ولاية العراق التى كانت تحت إمرة يوسف بن عمر . فاختلس من أموال الدولة فضربه الأمير حتى تفقعت فيه يده فسمى المقفع ومات على دينه .

وأما عبد الله ابنه فقد نشأ بالبصرة وخالط مشاهير علمائها وحذق العربية وأجاد الكتابة بها كما كان يجيدها بالفارسية الحديثة والمتوسطة وبالفهلوية . واحترف بحرفة أبيه فقد استكتبه فى دواوين العراق آخر عهد بنى أمية دوادين عمر بن هبيرة .

﴿ ذيوع شهرته ﴾

جمع ابن المقفع بين ثقافة العرب والعجم فقد أبحر فى أدب الفرس والهنود وكتب الحكمة مما ترجم زمن كسري أنوشروان من علوم اليونان إلى الفارسية أو العربية وما زال نجمه يعلو وخطبه يزداد إلى أن صار ذائع الصيت والشهرة وقد انتحى فى الكتابة طريقة خاصة تنسب اليه وأصبح ثانى الطبقة الاولي من كتاب زمنه وأهم خصائص هذه الطريقة اختلاف أساليب الكلم وتقطيع الجمل والمزاوجة بين الكلمات وجودة الأداء وجزالة الالفاظ والاقلال من السجع (ومن رجال طبقته يعقوب بن داود — وجعفر بن يحي والحسن بن سهل - وعمرو بن مسعدة وسهل بن هارون والحسن بن وهب)

فقد سئل ابن المقفع عن البلاغة ماهي فقال : — هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها وقال لبعض الكتاب : إياك وتتبع الوحشى من الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر . وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة .

﴿ اتصاله بولاة الدولة العباسية ﴾

اتصل ابن المقفع بسليمان بن على وعيسى بن علي عمى أبى جعفر المنصور وهو على دينه فاعترضه وقتئذ أن شق عبدالله بن على عصا الطاعة على المنصور فهزمته جيوشه فلاذ بأخويه سليمان وعيسى فأبى المنصور الا أن يقتص منه فأرسل فى طلبه منهما فامتنعا عن ذلك إلا أن يكتب له أمانا منه فكلفهما كتابة فأمر ابن المقفع أن يكتب ذلك فاشتط فى كتابته إذ ملأه بألفاظ

شديدة وإيمان مغلظة كقوله : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته فلم يرق ذلك في نظر المنصور .

﴿ براعته في الترجمة ﴾

ترجع شدة ابن المقفع الى عبقريته في الترجمة إذ كان أول من اعتني في الملة الاسلامية بترجمة الكتب القيمة في الطب والمنطق والتاريخ من الفارسية الى العربية السهلة المتينة التي لا يظهر فيها أثر للعجمة فلا تكاد تفرق بين نقله ووضعه . وكان مما ترجم كتب (ارسطو) الثلاثة في المنطق وكتاب (ايساغوجي لفرفريوس وكتاب الطوري) وكتاب التاجة في سيرة أنوشروان وكتاب سير ملوك العجم المسمى (خراى تاجه) وكتاب مزدك [1] ولا يزال كتابه الخيالي كليلة ودمنه أقدم كتاب في اللسان العربي . ومن مؤلفاته الأدبان الصغير والكبير وكتاب اليتيمة في طاعة السلطان .

والظاهر أن كثيرا من الكتب التي ترجمها قد حرقت أو مزقت لاشتمالها على شيء من النطرف والخروج عن المألوف في الدين والتشيع للفرس وتقاليدهم بيد أنه قد عثر على أسماء ما فقد من مترجماته أثناء القراءة في أسفار المتقدمين من المؤرخين الذين كانت أقواله عندهم حجة يرجعون اليها وبخاصة ما كان يتعلق منها بتاريخ الدولة الساسانية

---

(١) متنبيء ظهر في عهد انوشروان كسرى فارس في أواخر القرن السادس الميلادي وقد قتل هو وأتباعه سنة ٦٢٨ ميلادية .

﴿ نثره ﴾

كان ابن المقفع كما تقدم أحد أفذاذ الكتاب الذين جددوا في الاسلوب العربي فقد أدخل عليه الكثير من العذوبة والرونق وصقله بالأساليب الفارسية السلسة حتى عده ابن مقلة في عداد الكتاب العشرة الذين أجادوا العربية كتابة وخطابة واعتبره ابن خلدون من المجددين في الأسلوب العربي البارعين في النثر الفني .

﴿ بلاغته — ذكاؤه — أخلاقه ﴾

كان ابن المقفع آية في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني الي حسن بيان وسهولة لفظ ورشاقة أسلوب ولا توصف بلاغته باحسن مما وصف هو البلاغة به مما سبق ذكره كما كان ذكيا فقد وصف الجاحظ بأنه كان متقدما في بلاغة اللسان والعلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير تعاطى الكلام (التوحيد) ولا يحسن منه قليلا ولا كثيرا .

وقد قيل لم يكن للعرب بعد الصحابة أزكي من الخليل ولا كان في العجم أذكي من ابن المقفع وقد اجتمع هذان الصاحبان لاول مرة فمكثا يتحدثان ثلاثه أيام .

ثم افترقا فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله . فقال : ماشئت من علم وأدب إلا أن علمه أكثر من عقله . وقيل لعبد الله : كيف رأيت الخليل فقال : ماشئت من علم وأدب الا أن عقله أكثر من علمه . وقد سئل ابن المقفع . من أدبك . فقال : نفسي كنت إذا رأيت من غيري حسنا اتيته وان رأيت قبيحا أبيته وكان في سائر أحواله عفيفا أديبا وفيا لأصحابه

ومن أصحابه عبد الحميد الكاتب وكان من وفائه أن عبد الحميد لما قتل مروان الحمار بمصر فر الى البحرين واحتمى بابن المقفع صديقه ففاجأه الطلب وهو في بيته فقال الذين دخلوا عليهما : ايكما عبد الحميد فقال كل منهما أنا مخافة على صاحبه وأوشك الجند أن يقتلوا ابن المقفع لولا أن صاح بهم عبد الحميد قائلا ترفقوا بنا فان لكل منا علامات فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر الي من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا وأخذ عبد الحميد فقتل سنة ١٣٢ هـ أي قبل قتل صاحبه بعشر سنوات .

﴿ طائفة من أقواله النثرية ﴾

قال ابن المقفع : إذا اكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهما ليعجبك اذا كرموه لدين أو أدب .

وقال . لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا ألف فان أخوف مايكون الانسان لحريق النار أقرب ، مايكون منها . وكذلك الجاهل إن جاورك أتعبك وأن صاهرك جنى عليك وإن أيفك حمل عليك مالا تطيق وإن عاشرك آذاك وأخافك مع أنه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع ملك فظ وعند المرافقة فى الدين قائد الى جهنم فانه بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساود والحريق المخيف والدين الفادح والداء العياء

وقال : كان لي أخ أعظم الناس فى عيني وكان رأس ماعظمه في عيني صغر الدنيا فى عينه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى مالا يجد ولا يكثر إذا وجد وكان لا يتأثر عند نعمه ولا يستكين عند مصيبة وكان خارجا عن سلطان الجهالة فلا يتقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعته وكان أكثر دهره

صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان ضعيفامستضعفا فاذا وجد الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل فى دعوى ولا يشارك فى مراء ولا يدلى بحجة حتى يري قاضيا فهما وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ماعذره وكان لا يشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبا إلا أن يرجو منه النصيحة . وكان لا يتبرم ولا يسخط ولا يشتكى ولا يشتهى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص شيئا نفسه دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن اطقتها ولن تطيق ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

﴿ طائفة من أقواله الشعرية ﴾

كان لابن المقفع قدم راسخة فى النثر وكان يحجم عن قول الشعر فسئل عن السبب فى ذلك فقال : الذى ارضاه لا يجيئنى . والذى يجيئنى لا أرضاه .

ومن شعره مارواه صاحب الحماسة فى رثاء يحيي ابن زياد : —

رزئنا أبا عمرو ولا حى مثله ... فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ... ذوى خلة مافى انسداد لها طمع
فقد جر نفعا فقدمنا لك اننا ... امنا على كل الرزايا من الجزع

﴿ سبب اسلامه وقتله ﴾

ذكر أصحاب السير أن السبب فى اسلام ابن المقفع أنه قال لعيسي بن على عم المنصور : قد دخل الاسلام فى قلبي وأريد أن أسلم على يديك .

فطلب اليه عيسي أن يغدو عليه بين القواد ورءوس الأجناد ليكون إسلامه مشهورا ثم حضر معه الطعام عشية ذلك اليوم فجعل يأكل ويدمدم على عادة المجوس فلما سأله عيسى عن السبب قال (كرهت ان ابيت على غير دين) فعز على عيسي ذلك فاعلن إسلامه وتسمى بعبد الله واكتنى أبا محمد وكان اسمه روزبة بن داذويه وقيل أنه أسلم رغبة في عرض الدنيا والحصول على المنفعة المادية .

وكان ابن المقفع ظنينا فى دينه لشدة ولوعه بالأدب الفارسي وتمسكه بكثير من تقاليد المجوسية وميله الى العادات الفارسية ومعارضته القرآن وترجمة كتب الزنادقة فقد كان المهدي يقول : مارأيت كتابا الف فى الزندقة الا ويرجع أصله الى ابن المقفع .

ويروى أنه مر ببيت نار للمجوس فتمثل ببيتى الاحوص ابن محمد بن عاصم الأنصاري :—

يابيت عاتكة الذى اتعزل حذار العداوبه الفؤاد موكل
أصبحت أمنحك الصدود وأنني قسما اليك مع الصدود لأميل

فكان ذلك وما أشبه مما اغضب الناس عليه وكرههم فيه . هذا إلى أن المنصور كما سبق وجد عليه لحادثة كتابة الأمان فأوعز بقتله الى سفيان بن معاوية المهلبي والي البصرة وقد كانت بينهما ضغينة قديمة فانتهز الامير هذه الفرصة وقتله محرقا فى النار سنة ١٤٢ هجرية بحجة أنه متهم بالالحاد والزندقة.

انتهت التراجم بحمد الله .

ابراهيم عبد الفتاح

obeikandl.com